Received: 14/11/2021 Accepted: 16/12/2021 Published: 2022

دور الرسوم الإيضاحية في تعزيز الثقافة المرئية للطفل

أ.د.نصيف جاسم محمد أ.م.د.اكرم جرجيس نعمة
جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة

مستخلص البحث:
مع ازدياد التدفق المعلوماتي الكبير، والتطور الذي إشتمل الافراد والمجتمعات بفعل ما الت اليه التقنيات الحديثة، فإن مواكبة ذلك تتطلب الكثير من العمل والجهد في سبيل اللحاق بما يستجد، فهناك القنوات الفضائية، والصحف والمجلات والتقنيات الحاسوبية اللوحية، الى غير ذلك، ويبرز من بين ذلك كله الرسوم الايضاحية التي تشكل ركنا مرئيا مطلوبا من قبل الاطفال كونها تتناغم مع حواسهم وميولهم، هذه الرسوم التي تعد من بين تطبيقات التصميم الكرافيكي المعاصر قدمت وتُقدم كل يوم انماطا متنوعة من الحوار المرئي القريب من ذهنية وتصورات الاطفال، اذ يُعْرض من خلالها قصص وحكايات ارشادية متنوعة تعتمد تقنية الايضاح (Illustrations) القريبة من تصورات الأطفال، وتكمن مشكلة البحث في التساؤل الآتي :
ما الدور الذي تقوم به الرسوم الإيضاحية في تعزيز الثقافة المرئية للطفل؟
الكلمات المفتاحية/ الرسم الإيضاحي- الثقافة المرئية- الطفل.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:
- إمكان الإفادة من معطيات البحث في تعزيز رؤى المشتغلين في مجال تصميم وسائل الإيضاح.
- إمكان ان يعزز البحث التطبيقي في مجال تصميم رسومات الأطفال.

هدف البحث: يكمن هدف البحث في :
تعرف الدور الذي تقوم به الرسوم الإيضاحية في تعزيز الثقافة المرئية للطفل.

حدود البحث: تكمن حدود البحث في :
- الحد الموضوعي :دراسة الرسوم الإيضاحية الخاصة بالطفل.
- الحد الزماني :عام 2020
- الحد المكاني: مدينة بغداد

الكلمات المفتاحية : الرسم الإيضاحي- الثقافة المرئية – الطفل

الإطار النظري

1- الرسوم التوضيحية

على مر التاريخ، استخدمت البشرية مشاهد سردية لرواية القصص. تظهر أقدم الرسوم التوضيحية المسجلة في لوحات الكهوف التي تم إنشاؤها في لاسكو، فرنسا، كاليفورنيا اظهرت هذه الصور تشكيلات رسومية تصويرية تسرد احداثا ومشاهد مهمة حصلت في حضارات قديمة، اذ ازدهر هذا النوع من التمثيل الايضاحي لتكريم الآلهة والبشرية والثقافات نفسها، سجلت الرسوم التوضيحية الأبطال والمهرجانات، والحكايات الأسطورية والأدب، والمشاهد الجنائزية، والأحداث الرياضية، وفي العصور الوسطى، ظهرت الصور الرسومية في مخطوطات مضيئة، اذ كان الاعتقاد المسيحي في قدسية الكتابات الدينية السبب الرئيس للحفاظ على الكتب ونسخها، وكانت الأديرة مراكز للأنشطة الثقافية والتعليمية والفكرية، وبدءا من القرن الرابع عشر، قدم فنانوا عصر النهضة الموسيقى

والأدب والفن والمنشورات الجديدة التي يمكن إنتاجها وتوزيعها بشكل كبير بسبب اختراع يوهان غوتنبرج عملية الطباعة الميكانيكية عام 1452م، وتم إنشاء وتوزيع النقوش الخشبية وحفلت المطبوعات المحفورة بالصور والأفكار والترفيه لجمهور واسع، ومع بزوغ الثورة الصناعية في منتصف 1700، تحسنت تكنولوجيا الطباعة بسرعة وتم توزيع المزيد من المنشورات، وأصبح التصوير أكثر شيوعا في الحياة اليومية، وقدم (إنجليش وود إنغرافر أند بابليشر- توماس بيويك) استديو لإنشاء وطباعة رسومات التوضيح لاغراض تجارية تستعمل في اغراض عديدة، بما في ذلك أعمال للأطفال والمواد التعليمية للمدارس ولوحات التاريخ الطبيعي وعنوانات الكتب، وصاحب ذلك انتشار وازدهار الصحف بشكل متزايد، والواقع أن الرسم التوضيحي بدأ ينظر إليه على أنه ضرورة، وأدت المنافسة بين المنشورات وتوافر عدد محدود من الرسامين إلى زيادة ميزانيات الفن، وإلى فرض رسوم أعلى، إلى زيادة الاعتراف بالفنانين، وأصبح أفضل الرسامين شخصيات معروفة مثل تشارلز دانا جيبسون وجون هيلد الابن، الذين حققوا شهرة مهمة، وشوهدت ملايين المجلات في جميع أنحاء أميركا وهي تصدر بأغلفة مرسومة بصيغة الرسوم التوضيحية التي تعد من بين اهم التطبيقات الكرافيكية التي تنقل المعلومات بشكل بسيط وسهل لاعتمادها على منظمة رسومية بصرية تفي بعملية التواصل والاتصال والتداول بين عموم الناس، لا سيما فئة الاطفال الذين يرون فيها المباشرة في طرح الافكار على وفق صيغ رسومية لونية توضيحية، تأتي لتساعد في جعل شيء ما واضحا، هو صورة، أو رسم تخطيطي، كما يمكن للرسوم الايضاحية ان تؤدي وظائف مختلفة، وتعتمد على مجموعة واسعة من التقنيات المرئية لتكون فعالة، و"وثق بعض الباحثين(Arizpe ،2003،p223) بعناية ما يفعله الأطفال فعليا أثناء قراءتهم للكتب، ولا سيما الصور، والكتب المصورة بطريقة الايضاح، اذ وجد أنه "حتى الآن لم ندرك، ولم يسبق لأحد أن يجمع بيانات مكثفة عن كيفية القراءة المرئية للصور والرسوم الايضاحية عند الأطفال من 4 إلى 11 فعلا قراءة الصور"، الصور التي تصمم على وفق اسلوب ايضاحي رسومي ينقل للطفل المعلومات المطلوب ويتواصل معه دون معوقات ابصارية " ان ما يفعله الأطفال في الواقع عندما يستطلعون الرسوم الايضاحية والصور، هومتشابه عمليا، لكنه مختلف عن العمليات التي يستعملها القراء الجيدون عند قراءة الكلمات، وعلى مر التاريخ، استعملت البشرية صور سردية لرواية القصص، اذ اظهرت أقدم الرسوم التوضيحية المسجلة في لوحات الكهوف التي تم إنشاؤها في لاسكو، فرنسا، كاليفورنيا هذه الصور تشكيلات رسومية تصويرية تسرد احداثا ومشاهد مهمة حصلت في حضارات قديمة، وازدهر هذا النوع من التمثيل الايضاحي لتكريم الآلهة والبشرية والثقافات نفسها، سجلت الرسوم التوضيحية الأبطال والمهرجانات، والحكايات الأسطورية والأدب، والمشاهد الجنائزية، والأحداث الرياضية، وفي العصور الوسطى، ظهرت الصور الرسومية في مخطوطات مضيئة، اذ كان الاعتقاد المسيحي في قدسية الكتابات الدينية السبب الرئيس في الحفاظ على الكتب ونسخها، وكانت الأديرة مراكز للأنشطة الثقافية والتعليمية والفكرية، وبدءا من القرن الرابع عشر، قدم فنانوا عصر النهضة الموسيقى والأدب والفن والمنشورات الجديدة التي يمكن إنتاجها وتوزيعها بشكل كبير بسبب اختراع " غوتنبرج" عملية الطباعة الميكانيكية عام 1452م، وأُنشأت وَوزعت النقوش الخشبية وحفلت المطبوعات المحفورة بالصور والأفكار والترفيه لجمهور واسع، ومع بزوغ الثورة الصناعية في منتصف عام 1700م، تحسنت تكنولوجيا الطباعة بسرعة وتم توزيع المزيد من المنشورات، وأصبح التصوير أكثر شيوعا في الحياة اليومية، وقدم (إنجليش وود إنغرافر أند بابليشر- توماس بيويك) استديو لإنشاء وطباعة رسومات التوضيح لاغراض تجارية تستعمل في اغراض عديدة، بما في ذلك أعمال للأطفال والمواد التعليمية للمدارس ولوحات التاريخ الطبيعي وعنوانات الكتب، وصاحب ذلك انتشار وازدهار

شكل(1)

الصحف بشكل متزايد، والواقع أن الرسم التوضيحي بدأ ينظر إليه على أنه ضرورة، وأدت المنافسة بين المنشورات وتوافر عدد محدود من الرسامين الرفيعين إلى زيادة ميزانيات الفن، إلى فرض رسوم أعلى، إلى زيادة الاعتراف بالفنانين، وأصبح أفضل الرسامين شخصيات معروفة مثل تشارلز دانا جيبسون وجون هيلد الابن، الذين حققوا شهرة مهمة، وشوهدت ملايين المجلات في جميع أنحاء أميركا وهي تصدر بأغلفة مرسومة بصيغة الرسوم التوضيحية التي تعد من بين اهم التطبيقات الكرافيكية التي تنقل المعلومات بشكل بسيط وسهل لاعتمادها على منظمة رسومية بصرية تفي بعملية التواصل والاتصال والتداول بين عموم الناس، لا سيما فئة الاطفال الذين يرون فيها المباشرة في طرح الافكار على وفق صيغ رسومية لونية توضيحية، تأتي لتساعد في جعل شيء ما واضحا، هو صورة، أو رسم تخطيطي، كما يمكن للرسوم الايضاحية ان تؤدي وظائف مختلفة، وتعتمد على مجموعة واسعة من التقنيات المرئية لتكون فعالة، ان ما يفعله الأطفال في الواقع عندما يستطلعون الرسوم الايضاحية والصور، هومتشابه عمليا، لكنه مختلف عن العمليات التي يستعملها القراء الجيدون عند قراءة الكلمات، فالكثير مما يفعله الأطفال وهم يقرؤون الكتب المصورة ينطوي على التفاعل مع الكلمات والصور الايضاحية(Sipe, (2000.p225). ، اي ان للطفل أسلوبا محددا في استطلاع واستكشاف الموضوعات التي يتداولها من قصص وحكايات وانماط ارشادية او توجيهية وسط بيئة مرئية معرفية واسعة وتوسعت بفعل دخول الوسائط الرقمية في المنتج التعليمي، كما في الشكل (1) فقد عبر الطفل عما يدور حوله من احداث يومية ونلحظ الطريقة التي يوضح فيها افكاره واستعماله للرموز والمفردات الوطنية في مشهد يمثل التظاهرات الشعبية، ويؤشر لواقع مدى دقة الطفل في نقل التفصيلات الشكلية والقيم اللونية، بل والملابس التي يرتديها المتظاهرون، كما يمكن "استخدام الوسائط لتعزيز الوظائف العقلية العليا الأربعة، هي على النحو الآتي:

- **الإدراك**: يستطيع الطفل إدراك ما حوله عند تعرضه لمواد أو وسائط تساعده في تطوير المعايير الإدراكية في مرحلة ما قبل المدرسة.
- **الإنتباه**: تستخدم الوسائط لزيادة الانتباه لدى الطفل عن مستوى الانتباه العادي، ولتحقق هذه المهمة العقلية العالية فإن الطفل يجب أن يركز قدراته العقلية بوعي تام.
- **التذكر**: يتمتع الأطفال عادة بذاكرة جيدة لما يرغبون في تذكره، ولكن يلاحظ على أغلبيتهم أن هذه المهارة قد تختفي حينما يحتاج الأطفال أن يتذكروا شيئا معينا ليس ضمن اهتماماتهم، ومن ثم فإنه يمكن تدريب الأطفال على التذكر باستخدام الوسائط التعلمية الحديثة.
- **التفكير**: تساعد الوسائط الخارجية في الانتقال من التفكير الحسي إلى التفكير التمثيلي المصور، اذ يمكن للأطفال عند رسم أو تمثيل موقف للسيارات

استعمال مواد محسوسة كالطوب، ومواد تمثيلية كالصور: ليفكر في إنجاز شيء معين(Bodrova, 2007) ،فضلا عن ذلك فأن: "مهاراته الحركية تعطيه إحساساً بالسيطرة والكفاءة، إن كل ذلك بما يتضمنه من مشاعر وحاجات ورغبات وكفاءة يجعل الطفل يكون تدريجياً صورة ذهنية عن ذاته ويتطور مفهومه عن ذاته ليصبح واحدا من مفاهيمه المعرفية الأخرى التي يمكن أن تنعكس في أفعاله المستقبلية(الريماوي،2003،ص259) ، وهذا يسهم بشكل مباشر في الانفتاح الذهني للطفل

شكل (3)

نحو تعرف مايحيط به والتعامل مع الموضوعات بطريقة واضحة، و"عندما تصمم الرسوم التوضيحية بشكل جيد ستكون مساعدة قوية في فهم ونقل المعلومات غير الكمية. في الهندسة فإنها تساعد الطلاب في فهم المشاكل الإقليدية والعقلية بطريقة بناءة إلى حل، في الفيزياء فإنها تساعد الطلاب على فهم المبادئ، التي على أساس الحسابات الخطابية وحدها، وقد يكون من الصعب فهم ذلك في مجالات السرد، مثل قصص الأطفال، أو السير الذاتية، فإنها تعزز غالبا القراءة ،أو (الاستماع)، والخبرة وتسهيل الفهم، وقد كتب الكثير في علم النفس حول التفاعل الصورة، والنص، والرسوم التوضيحية، على سبيل المثال، اقترح (ليفين) خمس وظائف للصور والرسوم التوضيحية هي(Levin, 1987): التزيين، والتمثيل، والتنظيم، الترجمة والتحويل، التوضيح والتعزيز. في عام (1999م) تحول الاهتمام نحو الكيفية التي نادرا ما تكون الرسوم التوضيحية العلمية فيها محايدة ، بل هي تمثيلات نظرية محملة قد تحيد الطريقة التي يفهم بها القراء الحقيقة والمبادئ، ولاجل فهم القضايا المتعلقة بفهم التوضيح، نستكشف ثلاثة أسئلة مهمة:

1. ما القوة التعبيرية التي يحملها التوضيح؟ وكيف يمكن استعمال التقنيات المرئية لزيادة تلك القوة.
2. لماذا ينساق التفكير مع الرسوم التوضيحية نحو التعميم العام ؟
3. كيف يمكن استخدام التفاعل لزيادة القوة التعبيرية في الرسوم التوضيحية؟

اذ من المؤكد ان الرسوم الإيضاحية تؤدي دورا مهما في الوظائف العقلية لدى الاطفال كونها تمثل منظومة بصرية عيانية ومن بين الوظائف اثراء القيمة التعبيرية والاتصالية نظرا لبساطة خطوطها والوانها التي غالبا ما تحاكي اهتمامات الطفل، هذا وشاعت في الاونة الاخيرة رسومات الأطفال الايضاحية لدراسة وجهات نظرهم حول وسائل الإعلام والسلوكيات المرتبطة بالمستهلك، مستندين الى أن "الأطفال يرسمون ما يحبون، وما يحبذون"(Dennis, 1966) وأنهم "يستطيعون أن يعبروا بشكل أفضل عما يجول في عقولهم باستعمال الرسوم التوضيحية المرئية أكثر مما يمكن ان يحصل مع الكلمات"(Cox, 1992) ، كما هو واضح في الشكل (2) اذ رسم المشهد بطريقة مبسطة لاطفال يرفعون يافطة وبدت ملامح الفرح على وجوههم، وهي طريقة تعبير مباشرة ليس فيها تعقيد شكلي، او لوني، وهنا نفهم الطريقة التي يفكر فيها الطفل باستعماله التبسيط الشكلي في افضل مظاهره المرئية.يتجاوز الفن اللغة اللفظية لتوصيل المشاعر التي قد لا يعبر عنها بطريقة أخرى، والنقطة الرئيسة حول استعمال اللغة يكمن في القدرة على توظيفها على وفق طرائق عملية وكافية في الممارسات الأجتماعية والثقافية، ويعرف الأطفال غالبا بقيودهم الفكرية، وهو افتراض سبب صعوبات للباحثين الذين يحاولون فهم تجارب الأطفال الصغار الروحية والدينية، أو الإدراك(Spilka, 2003) ،هذا ويمكن تعريف نشاط الرسم على أنه" تنفيذ حركات باليد قصد ترك بعض الأثر المرئي على الورقة. وعلى الرغم من بساطة التعريف، فإن السلوك العادي للرسم يبقى معقداً في حدود ما يتطلبه من تدخل لسيرورات حركية، ومعرفية، ووجدانية، وإذا كان الرسم يسمح، وظيفياً، للأشخاص بالتعبير عن مفاهيمهم بصرياً، لا يعد الرسم واقعيا على المستوى المرئي، بل يعد

رسما رمزيا، أي: أنه لغة مؤسسة على دوال رسومية متعددة المعاني، ومنظمة وفق رموز رسومية ثقافية"(Picard, 2011،p45-60) ، وهذه اللغة تؤدي وظائفها بشكل يتفق مع تصورات الطفل واسلوب التعبير الذي غالبا ما يكون مباشرا، وعلى الرغم من ان "الرسم هو مجرد طريقة واحدة لتصوير العالم، الا ان الرسوم الايضاحية المعدة للأطفال تقدم نافذة الى عقول الأفراد"(Bertoia, 2013) لما تتمتع به من خصائص بنيوية بعيدة عن التعقيد والتكثيف الشكلي، من ثَمَ هي تمثل "انعكاسات لإنفعالاتهم واحتياجاتهم، فقد تستخدم كأسلوب إسقاطي، وهي وسيلة لاستكشاف ما بداخل الطفل من صراعات نفسية، كما إنها تعكس التكوين الداخلي لهم، فضلا عن ذلك هي لغة تعبيرية تعني نقل المعاني والصور الإيضاحية"(خضر،2007،ص60) وتديم اليات التواصل ،والطفل يحتاج بشكل كبير الى ان يكون متواصلا مع العناصر المحيطة به، وتسهم الرسوم الايضاحية في تعزيز رؤاه وتصوراته المرئية، وهي "وسيلة مناسبة لارتياد عالم الطفل، فمن السهل دائما استعمال اختبارات الرسم، بينما يصعب استعمال الأساليب الأخرى لكونها محددة بعوامل معينه مثل حاجز اللغة والحرمان الثقافي وعدم القدرة على التواصل، كما يستعمل الرسم كوسيلة للاتصال بغيره من البشر، فعن طريق هذه الرسوم ينقل الطفل ما بداخله للاخرين الذين يستطيعون بدورهم أن يقرءوا من خلال الرسوم هذه المشاعر ،مِنْ ثَمَ يفهموا الكثير مما يدور في عقل الطفل أو يثير اهتمامه"(Burns, 1972) ، ففي الشكل (3) نلحظ اسلوبية توصيل الفكرة في مشهد ايضاحي لطفلين وهما يلعبان في حديقة، مع تأكيد شكلي للقيم اللونية الخضراء والبساطة في التعبير والتخطيط الايضاحي، وهو تمثيل مباشر للوعي المرئي الذي يتمتع به الطفل وتوظيفة للمفردات البيئية المحيطة به، وفي ذات السياق يحدد (البسيوني) ثلاث مراحل رئيسة تمر عبرها الرسم الايضاحية للطفل هي على النحو الأتي:

شكل (4)

1- مرحلة التخطيط 2- مرحلة الرمزية 3- المرحلة الاصطلاحية، ففي المرحلة الأولى يخطط الطفل وينوع في هذه التخطيطات، وهي بالنسبة له أشبه بتمرين العضلات وإخضاعها لعمليات إيقاعية كثيرة، أما في الثانية (الرمزية) فيظهر فيها تحولا من التخطيطات إلى أنواع من الإيجاز الشكلي، أما في المرحلة الثالثة (الاصطلاحية) فتكون البيئة أثرت على الطفل، وبدأ يعي المظاهر التي حوله ولكن بالصورة التي يصطلح عليها الناس(البسيوني،1984،ص70) ، عموما فأن الطفل الذي يرسم بتلقائية يحاول ان يضع على الورقة ما يدور في تصوراته دون قيود، كما في الرسم الايضاحي شكل(4) الذي يصور فيه البيئة الطبيعية وحراك الاطفال فيها مع تركيبة تلقائية من العناصر المكونة للمشهد المرئي، والذي رسم بعفوية يغلب عليها التسطيح في غالب الاحيان، ومن المفيد الاشارة الى الطريقة التي يضع فيها الطفل تصوراته عن الحجوم والقيم اللونية والمنظور العام للبيئة. ان الرسم الايضاحي هو في الواقع "نمط من انماط الإتصال، يقوم على الرسم الذي يحمل مضمون بقصد تحقيق أهداف وأداء رسالة مرئية ذات قيمة لها جانبها الأيقوني(الرسم) و(اللساني) الذي يتم تدوينه لتوضيح الرسم"(الزيتوني،1948،ص34) ، كذلك هو نمط بصري يتناغم مع التطورات التقنية الحديثة التي تشجع الطفل على تعرفها والعمل بها .

البعد الجمالي للرسوم الايضاحية

تحمل الرسوم الايضاحية التي يقدمها الطفل قيما جمالية متنوعة اغلبها يتعلق بالبنية التركيبية والبساطة والتلقائية ونمط المعالجات الفنية التي غالبا ما يقوم بها الطفل وهويقوم بتجاربه على وفق اسلوبية يستمتع بها غالبا، بالنسبة له هو شيء يمكن ان نسميه النمو والتثقيف الجمالي، ترى ما يعني بالضبط **التحدث** عن النمو الجمالي والتثقيف الجمالي؟ وما دور التجربة؟ مثل التعرض للفنون، في تعزيز النمو الجمالي، أو التنمية؟ مهما كان هذه الدور، وما الآليات أو العمليات التي تقدم للاطفال موقف جمالي؟ هذه ليست سوى عدد قليل من الكثير، أسئلة حول التطور الجمالي والتعليم الذي يتحدى ويحير هؤلاء العلماء المعنيين مع علم الجمال، هؤلاء العلماء يتفقون عموما أن التنمية الجمالية تميز البحث عن الجمال، لا سيما في سياق الفن والخبرة الفنية، ولاشك ان "الرسوم عند الطفل هي من الأدوات الأولى في التعامل مع الألوان والخطوط والتعبير الجمالي للكلمات وجعلهم يشعرون بالجمال"(Nodelman, 1988) ، وهذه الادوات تمثل وسائل للتعبير عن الذات وما يفكر فيه الطفل، انها "تساعد الأطفال على العمل وتحفز التخيل والتفكير جنبا إلى جنب مع التذوق الجمالي في نهج مناسب لمستويات التنمية التي تبدأ من الولادة، وهي من بين الوظائف المهمة في تنمية قدرات الطفل"(Shelby, 2004) ، التي تنمو مع مراحل نموه التي تتماز بمجموعة من الخصائص، هي:

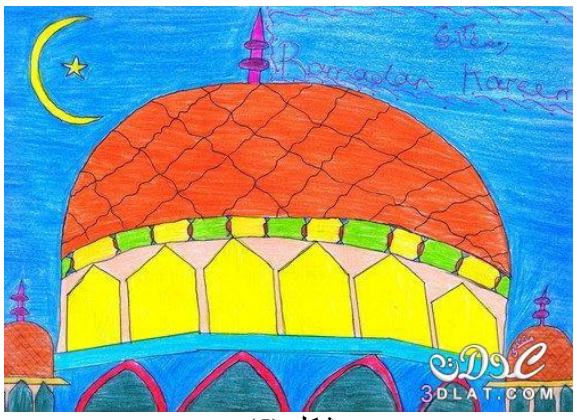

شكل (5)

- تشتمل طبيعة الأطفال الفضول، والاستكشاف، والمغامرة، والخيال، والدينامية، والإخلاص، واللعب وعدم تلقي الأوامر.
- يحتاج الأطفال إلى الحب والثقة والإيمان، للاعتراف بهم وتعرفهم، على أن يرعى ويقبل، لتحمل المسؤولية، والحصول على تجارب جديدة، والاستقلالية والمسؤولية، والإبداع، والفن والجماليات.
- ينجذب الأطفال بشكل غير متوقع، للتميز، والبحث عن الجديد، والموضوعات المثيرة اللافتة للنظر، والغامضة، وغير العادية، والمسلية، والمدهشة، والغريبة، والظواهر المثيرة والحقائق والخبرات والعناصر.
- ينعكس منظور الأطفال على معاييرهم الذاتية والخيالية والذاتية؛ والتقييمات وتفسيرات للوقائع، وبأفكارهم المنفردة الواضحة والسليلة مقارنة بالبالغين، الاجتماعية، المجردة، والأفكار الواقعية والمتعددة الأوجه والمتطورة، والمعايير الموضوعية والتقييمات، المعقولة والعقلانية.
- تتشكل القدرات اللغوية والمعرفية للأطفال من خلال المعرفة واللغة والعاطفية، والكفاءة البيولوجية؛ من خلال النصوص المرئية التي يرسمها، والنصوص اللفظية، والمعلومات، ومفرداتها، والبيئة الاجتماعية والثقافية، من ثَمَّ، من الضروري أخذ المستوى الحالي للطفل بعين الاعتبار(İpşiroğlu, 1994) ، وتشكل مجموع الخصائص تلك ميدانا مهما في البحث الجمالي والتعبيري عند الطفل، ومن خلالها يمكن تعرف الصيغ التي يلجا اليها الطفل وهو يقوم بالرسم، كما في الشكل(5) الذي يعبر من خلاله الطفل عن شجونه وتصوراته حول موضوع يخصه ويراه يوميا، لكنه بنى تركيبته اللونية على وفق ذاتيته في تصور القيم اللونية، القبة هنا بلون (برتقالي)

وهو عكس ما نراه في الواقع، كذلك المفردات المعمارية الاخرى التي اتسمت بقيم لونية مغايرة، اذ استعاض عن (الذهبي) بـ (الأصفر) كما في لون الهلال، هكذا يعمل الطفل في بناء تصوراته الجمالية، انه يعمل على وفق منظومة استعارية عمادها التبسيط.

لقد ظهر مفهوم القيمة الجمالية مع النهج الجديد للتذوق والتقبل والتقدير الذي تم تلخيصه في فكرة الـ "طعم" ... وكانت الفنون الجميلة، على النقيض من الفنون النفعية، بدأت في التطور والتنوع البحثي، اذ يرى بعض المنظرين أن القيمة الحقيقية للفن هي جمالية بحتة، وأن جمالية الفن تكمن في المعنى والتذوق الجمالي، وعززت هذه القيم بعض من تطلعات المؤسسات الفنية في الفترة الحديثة التي وفرت أماكن للتمتع الجمالي الخالص، لاسيما في قاعات الحفلات الموسيقية، والمتاحف الفنية، وقاعات العروض الفنية(Wilson, 1982) ، وان رسوم الاطفال تمثل مجرد قدرة على اللانخراط في صنع العالم، لتوثيق الحاضر، واستكشاف الماضي وتوقع المستقبل، لابتكار السيناريوهات، والسيطرة على الأحداث، التي تسهم في تكوين الاشكال المرئية، والروايات الشفهية ... ان محتوى رسومات الأطفال ابرزت إلى حد كبير التجربة الشخصية مباشرة، التي تكتمل، في كثير من الأحيان، من خلال المزيد من التكهنات الرائعة التي تأتي من الكتب أو الأفلام أو القصص التي يتشارك فيها أولئك المعروفون عند الطفل(Thompson, 2003،p146) ، وبطبيعة الحال فأن تلك الرسوم "تكشف عن نطاق المصادر التي يعتمدها الأطفال الصغار لعمل رسومات تعكس مايدور في اذهانهم وتصوراتهم التي تستجلب من مصادر متنوعة هي خزين ذاكرته منذ الطفولة إلى نشاط الفصول الدراسية المفتوحة نسبيا، والرسم في كراسات الرسم، فضلا عن الصور التي تشكل مصادر مهمة في الثقافة المرئية، وتحمل فئة رسومات الأطفال الصغار علاقة وثيقة تعود إلى عالم الأشياء، وتشير إلى نداء لا يقاوم بشكل خاص للأطفال من الشخصيات والقصص المقدمة"(Fleming, 1996،p117) ، ونشير هنا الى اهمية المصادر المرئية للطفل كونها تشكل اساسا في تعزيز الوعي والثقافة المرئية للطفل وتفتح خياله نحو افاقٍ تصورية جديدة، ومن منظور تصور الوعي الجمالي عند الطفل، تتعزز عند الأطفال ابعادهم التنمويةٍ الجمالية عن طريق الحياة الاجتماعية الجماعية، على سبيل المثال، تشير النظريات التقليدية في التنشئة الاجتماعية الى ان العملية فردية وتوجيهية يتلقاها الطفل المستلم سلبيا من ثقافة الكبار، انه يقدم، بدلا من مفهوم التنشئة الاجتماعية، ومفهوم "الاستنساخ التفسيري" للاعتراف بالجوانب الابتكارية والإبداعية لمشاركة الأطفال في المجتمع واعتمادهم على عالم الكبار والروتين الثقافي، وهنا يوضح كورسار وان الأطفال قادرون للمشاركة في الثقافات المقابلة وتلقي المعلومات من عالم الكبار بشكل خلاق، فضلا عن معالجة المخاوف، وهم ليسوا مجرد مستوعبين لمايدور في المجتمع، بل هم مستعدون للتغيير وسط بيئة من الانتاج الصوري والمعرفي، ما يعني انهم مستعدون من تلقاء انفسهم للمشاركة في المجتمع(Corsaro, 1997،p18-19) ، ويكفي هنا التوجيه نظرا للاستعداد النفسي والعقلي لتقبل ما يرد اليهم لتطوير مهاراتهم الابداعية والجمالية والتعليمية، اذ "وفقا لنظريات الأنشطة الجمالية، فأن العلاقة بين الأنشطة الإبداعية الجمالية والأطفال والتنمية، والتعلم، هي جزء لا يتجزأ من منظومة التنشئة الاجتماعية للأطفال، الأنشطة الأساس التي تطور الإبداع وتُمكن الطفل من استخدام اللغة الجمالية لتعكس التواصل والمشاعر، والخبرات والانطباعات، وتطوير الفهم، ومن "أجل فهم هذه الإمكانات، نحن بحاجة إلى تفكيك كل من المفاهيم "الجمالية" و"التعليم" لإيجاد طرائق جديدة لتنظيم ما سنصنفه على أنه ثقافي وجمالي وتعليمي"(Bjorn. 2001) ،هذا البحث يتطلب دراسة الابعاد النفسية والاجتماعية للطفل، فضلا عن دمج الفن مع التعليم كي نصل الى وضع مقاربات فنية تتفق مع رغبات الطفل، ان (اقتراح وتفسير المواد القائمة على الفن بِعَدَها أساس في مسارات التعلم يعد نهجا مقبولا، اذ يوفر عملهم مع الوسائط الجمالية للتعبير فرصة

للمشاركين، ليس فقط لتطوير المهارات المهنية، ولكن أيضا لإكتساب نوع خاص من المعرفة، فضلا عن ذلك تنماز تجربة التعرف الجمالي للمبدع والمراقب بفهم كامل من العاطفية والعقلانية، وهكذا تمثل الجماليات وجهة نظر العالم النوعي، وإعطاء معنى للحياة، وفي هذا التفسير، يشير مفهوم الجماليات إلى اللغة الرمزية الخاصة التي نستعملها عند العمل مع أشكال التعبير الفني بالمعنى الواسع. هنا، ترتبط الجماليات مع الشكل الرمزي، كما يظهر في لعب الأدوار، والطقوس، وعلم الجمال اليومي، وفي أنواع كثيرة من الفن، هذا الشكل الرمزي له سمة خاصة به وهو تفسير من صنع الإنسان، معنية بالتواصل في الرأي، الذي يحتوي على الخبرات والمشاعر... في هذا التفسير، يمكن تعريف الجماليات ككل على النحو الأتي: هي شكل رمزي حسي يحتوي على تفسير لأنفسنا والعالم والتي هي قادرة بشكل خاص على التواصل العاطفي من والى، وهكذا(Hansjörg 1998) ، مثلما نرى في الشكل (6)، اذ استعار الطفل مجموعة من الاشكال التي يراها في بيئته المحيطة به وقام بتحويلها الى منظومة ترميزية بصرية فالأشجار اتخذت تنوعات شكلية متنوعة، وكذلك البيوت والمباني الاخرى، وكيف تصرف في توزيع القيم اللونية، الاصفر مع الاخضر والبرتقالي مع الازرق، وهكذا، انه يحاكي عواطفه وتصوراته الجمالية حسب ما يتصور، وان كان مخالفا للمشهد المرئي الواقعي، في تركيبة جمالية مكثفة التعبير، كما من المفيد الاشارة الى التذوق الجمالي عند الطفل وهو يقوم بعمل رسوماته وهو ذاته نفسه يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم "الأفضليات"، والتي تُعَرف بأنها نمط من الـ "تقبل، أو التقدير لشيء ما قبل؛ صالح أو نحو اختيار مسبق" أو "ما يفضله أحد؛ موضوع الاختيار المسبق؛ المفضلة"، التفضيل هو حكم قيمي ذاتي ونسبي لأنه قد يتغير بمرور الوقت، لهذا غالبا ما نعتمد على الفن لتوفير الجمال، والتعبير، والأسلوب، ولدينا تفاهمات متطورة على نحو متزايد مع مختلف المكونات التي تسهم مباشرة في التنمية الجمالية(Parsons, 1987) ، فضلا عن ذلك فأن تطبيقات الفن توفر مجالات عدة لتعزيز الوعي الجمالي عند الاطفال، اذ "يمكننا أن نحدد الفن على أنه أعمال فنية، أو نشاط إنساني ذا طبيعة تعبيرية أو إبداعية، وهو نشاط يبرز المشاعر والقضايا، والموقف الإنساني تجاه العالم وغيره من الناس. كل ذلك يحدث في نشاط الطفل العفوي، اذ يرفع الفن من تذوق الانسان في حالات مختلفة - عند القراءة والاستماع، والمشاهدة وكذلك عند الرسم والغناء أو تفسير الكلمات والأصوات بطريقة فردية وشخصية، إنه يحدد آفاق تشكيل الشخصية بطريقة أوسع من الحساسية الجمالية أو الثقافة الجمالية، التي هي أساس هذا النوع من التعليم المتكامل، الفن يوسع ويثري نطاق المعرفة وكذلك يحسن تشغيل الآليات المعرفية، كل اتصال مع عمل فني هو فعل تصوري للواقع الداخلي والخارجي، وتشكيل التذوق الجمالي يهدف إلى تنشئة الطفل، وسيكون الفن هنا حاجة تواصلية لأشراك كل شخصية، وعند تطبيق التعليم الجمالي فإننا نعلم الناس كيفية فهم التعبير وأهمية العمل الفني، نحن نعلم كيفية الوصول إلى مضمونه والتعبير عنه، والفن هو وسيلة، وليس هدفا، ويرجع ذلك إلى طرائق التأثير ومحتواه(Suchodolski,p77-78) ، من هذا الباب يمكن لمصادر الفن ان تساعد الاطفال في البحث عما يريدون، علما ان هناك العديد من تطبيقات الفن تتماشى مع تصوراتهم، كما وتنمي ذاكرتهم المرئية.

شكل (6)

لقد وثق (ميلبراث) تطور الذاكرة المرئية عند الاطفال المتعلقة بالتنمية الجمالية، وفي إطار الذاكرة المرئية قدرة الأطفال على "ترميز" ملامح بيئتهم كمدى للتركيز على جوانب معينة عندهم... وبسبب التأثير المعرفي على التطور الجمالي، يلحظ (ميلبراث) ذلك في رسوماتهم التي لا تشير مباشرة إلى مستوى عال من الكفاءة، الحقيقة ان "الأطفال الصغار لديهم قدرات أدائية مهمة، وقد تكون رسومات الأطفال التي تركز على الشكل يدل على الكفاءة نحو الأفضليات المعرفية القوية التي تؤثر فيهم وقبل التحليل، ينظر الأطفال أولا إلى بيئتهم، وعندما يكمل الأطفال الرسم، فإنهم يرسمون فقط ما تعرفوا عليه من اشكال، وهكذا، فإن ما يراه الأطفال "يشاهدون" يتصل مباشر بما يفعلونه نظرا لحتمية هوية الشكل(Milbrath, 1998.p150) ، وهذا طبيعي جدا كون الطفل غير منفصل عن بيئته ومحيطه المادي والمعنوي، لهذا تعد البيئة مصدرًا من مصادر تعزيز الوعي الجمالي الذي نراه في الرسوم التوضيحية، هذا ويؤدي التعليم الجمالي دورا مهما في عملية تعليم الطفل، ذلك إن دمج النشاط الفني والموسيقي والمسرحي مع التخصصات الأخرى للحياة عنصر مهم آخر في هذه العملية... ان "الحساسية الجمالية والخبرة عنصران يحتاجان إلى التأكيد في تعليم الأطفال، وهما عنصران أساسان في التنظيم الجمالي، والتي يمكن تقديمها على النحو الأتي:

1. الحس الجمالية: في ما يخص الحساسية للتراكيب الفنية، والحساسية القيمية (الفنية والجمالية).
2. الخبرة: في ما يخص الاتصال المباشر مع العمل الفني، والاتصال غير المباشر عن طريق الاستنساخ، وما إلى ذلك، والنشاط الفني الهواة.
3. المعرفة: في ما يخص تاريخ الأنواع الفردية من الفن، نظرية الأنواع الفردية في الفن، علم الجمال والعلوم الأخرى التي تركز على الفن.
4. القدرة على تنفيذ الخبرة الفنية للحياة الخاصة: في ما يخص استيعاب الفن والتطور المنهجي للشخصية الجمالية،و التحكم في تغيرات الشخصية العامة،وتحقيق الذات من خلال تحقيق إمكانيات التنمية الكاملة(Danel،p66-67).

الثقافة المرئية عند الطفل

في خضم الفورة الاعلامية والاعلانية المرئية التي يمر بها عالم اليوم، فإن الاطفال وهم جزء مهم من التركيبة الاجتماعية هم وسط هذه الفورة والحراك اليومي المستمر، وينعكس ذلك بالضرورة على تكوينهم وتلقيهم لكثير من المشاهد التي تشكل جميعها مكونا فاعلا في التثقيف المرئي "اذ ازدادت قوة الصور المرئية وتاثيرها على الناس في عصر الاتصالات، فمن السهل ان نشهد اليوم انها تحيط بنا انى نكون، ومما اسهم في تعزيز تاثيرها التطور السريع في التكنولوجيا التي تنتج الرسوم والصور ووسائط الإعلام التي تؤدي دورا مؤثرا على هذا الصعيد، ما جعل الاطفال والمجتمعات الحديثة تحت تاثير معطيات الثقافة المرئية التي تنتج باستمرار الصور عبر شاشات الكريستال السائل، وأجهزة التلفزيون، والصور الرقمية، والإنترنت، والهواتف المحمولة، والصحف، والمجلات، وأجهزة متعددة الوسائط، وبات من السهل القول أن المجتمعات التي تركز على العين في هذا القرن الجديد وقعت تحت سيطرة، بهذا المعنى تمثل الثقافة المرئية طريقة جديدة للثقافة و للرؤية، والصور التي تعرض(KARADAĞ, 2004) ، كل ذلك يؤثر بشل اكيد ويلقي بظلاله على تنمية وتشكيل الوعي المرئي للطفل ،كما ينعكس على طريقته في التعبير وتناول الموضوعات التي يقوم بها، لا سيما وان تركيبه الفسيولوجي هو في مراحل نمو" اذ ينمو الدماغ البشري بسرعة أكبر خلال فترة ما قبل الولادة وفي السنوات القليلة الأولى من الحياة، ليصل إلى (50) في المائة من الوزن الناضج لمدة ستة أشهر و(90) في المائة في سن الثامنة. النمو البدني للأطفال هو أيضا سريع جدا خلال السنوات الأولى، ولكن النضج البدني هو عملية أوسع بكثير مقارنة مع التغيرات التي تحدث داخل الجهاز

العصبي(Rutter, 1993)، كذلك الأشهر الأولى من الحياة هي أيضا فترة تشكيل متراكبة واكثر سرعة - بناء شبكات كثيفة من الربط العصبي الذي يعتمد النشاط القشري، كما وتزداد الكثافة المتشابكة أكثر بين الولادة و (1) إلى (2) سنة من العمر (عندما يكون أعلى بنسبة 50٪ من البالغين البالغين)، يقالبها انخفاض في الكثافة تدريجيا خلال الفترة من (2) إلى (16) سنة من العمر ... هذه القضايا كلها تتطلب المزيد من التحقيق، وكذلك الفرضيات حول الاحتياجات النفسية العصبية للأطفال وللعلاقات التي تتعلق بالوضع الاجتماعي للشخصية المستجيبة(Schorr, 2004) ، بمعنى اخر ان الطفل يتمتع بتركيبة تختلف عن تركيبة الافراد البالغين، لذلك فهو معرض لكثير من التاثيرات المحيطة به بسرعة، لا سيما المؤثرات الاجتماعية والاسرية التي غالبا ما تستجلب معها مشكلات متنوعة الاحداث إن الاعتراف بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للطفولة المبكرة لا يقتصر على الاعتراف بالتقاليد الثقافية المتنوعة والمتغيرة، وعلى الرغم من ذلك، لا يقتصر الأمر على الاعتراف بأن "التعلم والتعلم يحدثان ويتأثران بسياقات اجتماعية وثقافية متعددة" ... وهذه المحاولات الرامية إلى استيعاب العوامل الاجتماعية والثقافية تتعثر إذا ما بقيت على افتراضات أساسية بشأن التنمية بوصفها عملية عالمية وطبيعية وفردية إلى حد كبير للطفل، تنشئ تدريجيا إحساسا بالذات بالبيئة المحيطة من خلال مراحل مستقرة نسبيا من التطور، وفي الواقع، فإن الأدلة العلمية لهذه الافتراضات الأساسية (المستمدة إلى حد كبير من نظرية بياجيه "البنائية") هي أقل قوة بكثير مما يفترض عموما، وانتقدت على نطاق واسع منذ 1970م (ولا سيما دونالدسون، 1978). وفي الوقت نفسه، افاد الباحثون التنمويون بشكل متزايد من إطار نظري بديل يبدو أكثر ملاءمة للبعد الجتماعي والثقافي للتنمية المبكرة، مستنيرين بشكل خاص بنظرية فيجوتسكي "البنائية االجتماعية" ... ومن وجهة النظر هذه، فإن تنمية الطفل الصغير ثقافية بقدر ما هي طبيعي، فالمراحل جزء لا يتجزأ من الممارسات الاجتماعية كما هو الحال في عمليات النضج، وفي الواقع، يمكن وصف تنمية الأطفال بأقصى درجة من الدقة بأنها "ثقافية طبيعية"(Donaldson, 1978). وعلى الرغم من ان كلتا النظريتين تعملان في المجال الاجتماعي الا ان الاولى ركزت على البيئة المحيطة والمجتمع واللغة التي تؤثر مباشرة في الطفل (الانسان)، والثانية ركزت على ان النمو الفكري ذو طبيعة اجتماعية، وليس بيولوجية والتعلم جزء من تلك المفاعيل، وهنا ياتي دور التعليم ليكون اطارا تنمويا يعزز الوعي والثقافة المرئية للطفل، لذا "أعيد تشكيل نظام التعليم الذي يُمارس اليوم وتنظيمه عدة مرات منذ الثمانينات، من أجل تحسين جميع الأطفال، ومن بين التغييرات المختلفة، أدى تكامل الفنون المرئية مع البحث الاكاديمي للطفل الى ظهور آثار كبيرة على قدراتهم التعليمية وأداءهم في المدرسة، وفي الواقع، يعود وجود الفنون إلى العصور القديمة عندما رسم الناس واستخدموا الأصباغ لرسم القصص على الكهوف"(Dickinson, 2005) ، وتثبت الأبحاث أنه من الجيد أن يكون الناس على دراية بالفنون المرئية لأنه نهج فريد من نوعه في معرفة وفهم العالم الذي نعيش فيه(Mcdougall, 2011) ، وتسمح العناصر المختلفة للفنون المرئية للأطفال في سن مبكرة باستكشاف وتخيل وخلق ما يدركونه. ومن ثَمَ، يعتقد أن الفنون تسهم في التعليم الذي يتجاوز قيمته الجوهرية كأشكال مباشرة من التفكير، وهي اساس من اسس تنمية الثقافة المرئية للطفل، وتؤدي دورا مهما في "تحليل التراكيب المعقدة ذات الصلة بالرسوم والصور، فضلا عن كونها توليفة تقوم على رؤية الأشياء وعلى ما محدد"(Karadağ, 2004) ، كما نراه في التلفزيون، والأفلام، والإعلانات، والأعمال الفنية، والإنشاءات، ما مهم في الثقافة المرئية ليس المرئي بحد ذاته، بل في المعاني المنقولة المرئية للطفل، والمجتمع والعالم، اذ تساعد الرسوم والصور في أن تكون بمثابة بيئة من المعاني قبل ان تكون ذات قيم جمالية(Herrmenn, 2005) فضلا عن قوة الرسالة المرئية المرسلة كما لاتظهر الرسوم والصور الشيء الذي ينظر إليه فعلا، ولكن تمثيلاتهما

في الوعي البشري الذي تشكل عبر امتدادات طويلة من التاريخ والثقافة(Leppert, 2002) ، اذ يبدأ الأفراد بتشكيل المعاني الجديدة من وجهة نظرهم الخاصة عندما يجمعون رموز ثقافتهم التي هي مخزنة في الذاكرة الرئيسة منذ الولادة . تعرف الثقافة بأنها نمط من أنماط القيم والمعتقدات والأفكار التي تؤثر على السلوك البشري، وكذلك الكائنات المنتجة للسلوك الحضاري، وتشتمل اللغة والفنون والدين والممارسات الأخلاقية(Kantner, 1997) ، كما انها تحتوي مكونات من صنع الإنسان بما في ذلك الأعمال الفنية والمقطوعات الموسيقية والروايات ويمكن أن تتكون من مجموعات فرعية ومجموعات صغيرة مثل الاطفال وطلاب الجامعات أو المجموعات العرقية. وتتألف الثقافة من التنمية الفردية والاجتماعية والعلاقات الإنسانية(Armstrong, 1990) ، ومن المهم أن نتذكر أن الثقافة نشطة وتتغير دائما داخل جميع فئات الناس، وهناك اشكال من صنع الإنسان، وهي تُعد ثقافة مادية، فضلا عن ذلك هي تمثل "أي تنوعات شكلية، أو تعبيرات من عمل الانسان، تتجلى بوعي أو دون وعي من خلال السلوكيات المكتسبة ثقافيا"(Bolin, 2003) ، كما وتشير الثقافة المادية إلى الأشياء في المجتمع لأغراض البقاء أو الترفيه، أو لغرض جمالي، أو تعبيري، و"الثقافة المرئية هي المعنية بالأحداث المرئية التي المعلومات أو معنى، أو متعة يسعى لها المستهلك في واجهة من التكنولوجيا المرئية، كما يمكن أن تمثل أي شيء بصري ينقل فكرة من لوحة زيتية إلى رسوم، او صور من الثقافة الشعبية على شبكة الإنترنت، فضلا عن ذلك تشتمل الفنون الجميلة مثل اللوحات والمطبوعات والصور الفوتوغرافية والأفلام، فضلا عن الأشياء والصور غير الفنية الجميلة مثل التلفزيون والفيديو والإعلانات والصور العلمية والألعاب"(Keifer, 2003). وغالبا ما يتضمن الأطفال هذه الصور المرئية من ثقافتهم في الأعمال الفنية، وقد لاحظ العديد من الباحثين أدلة على الثقافة المرئية في رسومات الأطفال ويرون أنهم يرسمون ما يلاحظون، وأظهرت العديد من الدراسات أن فنون الثقافة، لا سيما وسائل الإعلام في الثقافات الغربية، تؤثر على رسومات الأطفال من خلال تمرير صور رسومية لهم، وهناك عاملان يحفزان الأطفال على الرسم: الرغبة في معرفة قصة والإلهام من الصور من وسائل الإعلام، والمجلات، والكوميديا، وهلم جرا. بالمقابل قد يتعرض الأطفال للكثير من الرسوم والصور، لذلك قد لا يلاحظون أو يلتفتون إلى الاشكال التي يرونها على أساس يومي، وكان بعض الباحثين أجرى نقاشا مع فئة فنية عن الثقافة المرئية، ووجد أن الاطفال لديهم صعوبة في استدعاء الصور المرئية التي يرونها كل يوم في شبكة الإنترنت، والتلفزيون، ولوحات الإعلانات، وقال الاطفال أن الرسوم والصور تبدو لديهم متمازجة معا، وأنهم لا يفكرون بذلك في كثير من الأحيان، ويمكن للمرء أن يقول بأن بعض الرسوم والصور ينظر إليها مرارا وتكرارا (Kharod, 2006) ، فضلا عن الادراك المرئي الذي يمثل قدرة الاطفال في معالجة وتنظيم المعلومات المرئية في بيئة، وهو يتطلب دمج جميع الخبرات الحسية في الجسم بما في ذلك البصر، والصوت، واللمس، والرائحة، والتوازن، والحركة، ومعظم الأطفال قادرون على دمج هذه الحواس في الوقت الذي يدخلون فيه المدرسة. هذا مهم لأن حوالي 75٪ من جميع وسائل التعلم في الفصول الدراسية هي بصرية، وعلى الرغم من عديد المجلدات المكرسة لموضوع التصور والادراك، فأن هناك من يوجز بقوله: بأنه إحساس عند ذوي الخبرة، وتغيير في الحالة البيئية لمستقبلاتنا، وانه شيء يكون في وعينا، يعتمد إلى حد كبيرعلى الانطباعات التي تجعل هذه الاشكال على موقع حواسنا، إنها الطريقة التي تبدو بها الأمور لنا، أو الطريق الذي يبدو، ونشعر به، والذوق أو الرائحة، ولكن التصور ينطوي على فهم الوعي – "معنى" أو الاعتراف بهذه الاشكال لأغراض الدراسة، والتي تركز على التصور المرئي(ALLPORT, 1955) ، وبما أن جميع جوانب الأداء تتأثر بالعمر، والمعلومات والخبرات السابقة، والتي تختلف كثيرا من طفل إلى آخر، فإنه ليس من المستغرب أنه نجد صعوبة التمييز بدقة

بين الإدراك والقدرات المعرفية لدى الأطفال الصغار، وفي الواقع، فإن ظهورمصطلح "الإدراك المكاني" في السنوات الأخيرة هذا الوعي المتزايد للمدى المعرفي يتشارك مع العمليات في الوظائف التي كانت تعد سابقا، كما في الإدراك الحسي في الطبيعة. والتمييز، إذا أمكن تعريفه، هو المدى الذي تكون فيه الاستجابات نتيجة مباشرة. ويعرف "التربويون الوعي الجمالي بأنه القدرة على التذوق، أو الشعور أو الانتباه إلى القيمة الجمالية أو الكيفية الجمالية التي توجد في شيء ما سواء كان طبيعيا أم عاديا، أم عملا فنيا كما يمكن تعريف القيمة الجمالية بأنها ليست ما نفضله، بل ما هو قادر على إثارة تفضيلنا وإعجابنا متى توافرت الظروف السليمة لكي تتم هذه الاستجابة ، كما أنها تجعل الطفل يميز بين الجميل والقبيح في الطبيعة وفي الأعمال الفنية، وتعد قيمة ثرية متسعة المجال متعددة الخصائص والسمات كثيرة الارتباطات، فهي ترتبط بالمستوى الثقافي والمناخ الاجتماعي والنضج النفسي، كما أنها تحقق بالنسبة للبعض لذة ومتعة وتسلية وقد تمثل لآخرين احتياجاً ضرورياً يصله بالآخر وتجعل الطفل يتعرف إلى العالم من حوله من خلال وقع الجمال عليه، ولا سيما في المرحلة الأولى من حياته وذلك بحكم تكوينه الضعيف كما يتسم وعي الطفل الجمالي حتى السنة السادسة على الأقل"(فردوس،2013) ، ويتطور هذ الوعي باستمرار مع توافر المواقف المرئية المتنوعة في البيئة المحيطة بالطفل، وتعد لغة الصورة هي لغة مرئية لا تحتاج إلى أي وسيط توضيحي، ونستطيع القول: إن الصورة هي ربط للكلمة المراد إدراكها، كون أن الكلمات المكتوبة عبارة عن صور مرسومة، فلا توجد لفظة نتحدث عنها أو نتعلمها أو نكتبها دون وجود الخلفية أو الظل لهذه لكلمة والمتمثلة في الصورة، ومن ثم فإن عملية القراءة لدى الطفل تنطلق أو تبدأ بقراءة الصورة، وهي التي من خلالها يتعرف الإنسان على شكله ومحيطه، كما قال أرسطو، كما أن حضارة الإنسان الحالي هي حضارة الصورة كما أشار إلى ذلك "رولان بارث"، فالوصول بالطفل إلى مستوى إدراك الصورة واستيعاب خصائصها المعرفية لا يتأتّى إلا بوجود شرطين أساسيين هما: الأسرة والمعلم؛ فكلاهما يجب أن يحبب للطفل القراءة الفنية للصور، ويدفعه إلى الاستمتاع بالنظر إليها، مما يجعله يكتسب ملكة الذوق والتفكير، فالصورة تُحدِث لديه نشاطًا وفاعلية، وهذا ما يؤكده عالم التربية "جيروم بروفر" حين قال: ("إن الناس يتذكرون فقط مما يسمعونه وفقط مما يقرؤونه، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو يقومون به" وهو يقصد أن تذكر الأشياء بشكل كبير يتم عن طريق الرؤية)(نجاة،2015) ، وهذا ينطبق على تلقي المشاهد الرسومية التي تعزز هي الاخرى من وعي وثقافة الطفل المرئية.

عرض الدراسات السابقة:

توافرت أما الباحثين الدراسة الموسومة:

ثقافة الصورة والثقافة المرئية لدى الأطفال (قضايا تربوية - نفسية حديثة)

د. محمد قاسم عبد الله- سوريا،إذ جاء في ملخصها:

تعد ثقافة الصورة واحدة من القضايا المهمة في عالمنا المعاصر، وقد لقت اهتمامًا كبيرا في البحوث الأجنبية، ولكنها لم تلق ذات الأهمية في عالمنا العربي. وهناك العديد من القضايا والموضوعات المتعلقة بظاهرة ثقافة الصورة والثقافة المرئية في مرحلة الطفولة، التي تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة. لقد هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مفهوم ثقافة الصورة من حيث التعريف، والخصائص، والأثار الإيجابية والسلبية، وعلاقتها بقضايا مثل إدراك الطفل للصورة، ودورها في المنو المعرفي للطفل وفي شخصيته عمومًا، كما ناقشت الدراسة قضية الثقافة والكتب المصورة لدى االطفال، وكذلك الإستجابة الجمالية، والأثار النفسية لالوان الصورة على الطفل وتكوين قناعاته. وقد توصلت إلى أن ثقافة الصورة توازي الثقافة ذاتها ، لذلك تعد وسيلة أساسية ومهمينة من وسائل تقنيات التعلم والإعلام، والتواصل الاجتماعي.

مواطن الإختلاف:
تختلف مع الدراسة الحالية بكونها معنية بالدرجة الأساس في تقصي دور الرسوم الإيضاحية في تعزيز ثقافة الطفل.
موطن الإتفاق:
تتفق مع الدراسة الحالية في تقصي دور المرئي من الاشكال في تعزيز ثقافة الطفل.
منهجية البحث

إختط البحث الحالي اسلوب البحث الثانوي (المعروف أيضًا بالبحث المكتبي) تلخيص، أو تجميع، أو ترتيب لبحث موجود بدلاً من البحث الأساس،اذ يتم جمع البيانات من موضوعات وتجارب بحثية، ويُستخدم المصطلح على نطاق واسع في الأبحاث الطبية والأبحاث القانونية، وكذلك في بحوث السوق والتصميم والفن، ولهذا الغرض إطلع الباحث على مجموعة من الرسوم الإيضاحية للاطفال، وماكتب في هذا المجال من أدبيات وإطروحات تحليلية نقدية ،عدها الباحث اطارا بحثيا يلبي متطلبات البحث، فضلًا عن الإفادة من حيثيات ماورد في الإطار النظري في تصدير الموضوعات .

نتائج البحث ومناقشتها

أظهرت معطيات الإطار النظري وأدبياته النتائج الأتية :

1. أسهمت الرسوم الإيضاحية الخاصة بالأطفال بشكل مباشر في تنمية وتهذيب مهارات الطفل المرئية، لا سيما عندما تناغمت مع تصوراته ورغباته واحتياجاته في مشاهدة موضوعات تتعلق بمحيطه المرئي، إن الطفل في العموم هو ابن البيئة وتمثلاتها الرمزية، وهو الأقرب للإفادة من رموزها وتكويناتها الطبيعية وغير الطبيعية.
2. مثلت الشخصيات الرسومية المنفذة بإسلوب الكاريكاتير الموضوع الإقرب الى تصورات وخيال الطفل، لما فيها من تضخيم ومبالغة شكلية، لا سيما في رسم الأشكال الحيوانية، اذ تفاعل معها على النقيض من التنوعات الشكلية الأخرى، فضلا عن ذلك يجد فيها أنيسا بصريا يستطيع من خلاله التقرب منها ومحاكاتها في كثير من الأحيان.
3. شكلت الرسوم الإيضاحية مصدرا مهما من مصادر التعزيز والتثقيف المرئي للطفل، لما فيها من تكوينات شكلية ولونية تتسم بالبساطة والتلقي المباشر دون اية معوقات إبصاريه، وهذا الأمر يقع ضمن متطلبات الطفل ورغباته الحسية والمادية.
4. مثل التعليم ركنا اساسا في تدريب وتنمية خيال الطفل وتعزيز فكره الابتكاري، لا سيما التعليم عن طريق توظيف التقنيات المرئية الحديثة التي تسهم بشكل فاعل في تطوير خياله، وعن طريقها يمكن عرض الرسوم الإيضاحية بقصد التناغم مع الطفل على وفق اسلوب سهل ومرن .
5. تشكل الرسوم الملونة المستمدة مفرداتها من البيئة المحيطة بالطفل مصدرا معززا للوعي المرئي، نظرا لما للون من انعكاسات مباشرة على تشكيل الصورة المرئية للطفل، فضلا عن اهمية اللون في تهذيب البعد الحركي والمكاني والتصوري .
6. تتشكل غالبية المعرفة المرئية لدى الاطفال عموما في المراحل العمرية الأولى، لهذا ينبغي وضع خطط وإستراتيجيات لتنمية هذه المعرفة عن طريق إدخال الإطفال في ورش تجريب فنية تتناسب مع اعمارهم كي تتطور لديهم مَلَكَةُ التذوق والممارسة الفنية .
7. تَمَثَّلَ التفاعل الذهني مع الرسوم الإيضاحية على وفق أوجه عدة، منها ما يخص البعد الإنساني في توظيف المفردات، ومنها ما تمثل بمحاكاة البعد البيئي، ومنها ما جاء على وفق تصورات تركيبية مختلطة، وفي العموم هي شكلت نتاج تصورات الطفل وطرائق تفاعله مع المشهد المرئي.

8. إتسمت الإعمال الإيضاحية بقيم جمالية متنوعة منها: مايتعلق بالبساطة في التعبير، ومنها ما يتعلق بتوظيف القيم اللونية عالية التالق، ومنها ما يتعلق بمعالجة نسب الإشكال، ومنها ما يتعلق بالتكوين المرئي بشكل عام، وهو مايكشف عن الإلية التي يتعامل معها الطفل في رسم وتوظيف مفرداته المرئية.

الإستناجات

من خلال معطيات النتائج يمكن إستنتاج مايأتي:

1. الرسوم الإيضاحية مفصل مهم من مفاصل تطوير وتنمية ذائقة الطفل وتعزيز تصوراته المرئية، بل هي اساس من اسس تربيته الجمالية .
2. تتضمن الرسوم الايضاحية بعدا ارشاديا تربويا نوعيا يقلص المسافة بين تربية وتنشئة الطفل وبين بناء وتنمية خياله المرئي.
3. تتضمن الرسوم الإيضاحية الكثير مما يمكن الإفادة منه، إهمها جذب الطفل نحو منطقة يتعلم من خلالها السلوك الذي يتفق مع بيئته وتربيته .
4. يتأتى تعزيز الثقافة المرئية للطفل من عمل يقوم به المشتغلون بالشأن الفني، لا سيما في المراحل الاولى من تعليمه المدرسي، ومما يطلع عليه خارج البيت.

التوصيات

يوصي البحث الحالي بما يأتي:

1. ايلاء التوجيه والإرشاد الفني أهمية لما لهما من دور في تنمية وتهذيب الثقافة والوعي المرئي للطفل، بهذا الشأن يمكن الإفادة من طرائق ومناهج التدريس الحديثة في ذلك، لا سيما مناهج الفنون.
2. الإفادة من التقنيات الرقمية الحديثة في تطويرمهارات وتصورات الأطفال في مجال الرسم الإيضاحي ،لما لها من دور في تنمية الوعي التفاعلي مع المشاهد المرئية التي يراها.
3. تشجيع الاطفال على التعامل مع الأدوات والمستلزمات الخاصة بالرسم كونها تسهم بشكل مباشر في توسيع مداركهم ومخيالهم التكويني، ما ينعكس من ثَمَ على طرائق التعبير الصوري لديهم.
4. رفد الأطفال بكل مايستجد من المطبوعات الخاصة بهم، لا سيما التي تطرح قصص وحكايات تتناغم مع اهتماماتهم النفسية، والتي تتناسب مع اعمارهم، لما للمطبوع من أهمية في تنمية الصورة وتعزيز القيم المرئية لديهم .

المقترحات

يقترح البحث الحالي الدراسة الأتية:

- الأبعاد الوظيفية والجمالية لرسوم الأطفال الإرشادية .

المصادر

1. الزيتوني، فريدة أولمو ، إشكال التلقي في إستقبال الأعمال الفنية الجزائرية " الكاريكاتير في الصحف الجزائرية إنموذجاً " ، مجلة جماليات ، ع1 ، ص34، تشرين الثاني ، الجزائر ، 2014 .
2. البسيوني، محمود يوسف، سيكولوجيا رسوم الاطفال، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984.
3. خضر عادل كامل : رسوم الأطفال وقيمتها النفسية والتربوية ،مجلة علم النفس ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2007.
4. الريماوي، محمد عودة (2003) : في علم نفس الطفل، ط1، دار الشروق، عمان.

5. ALLPORT, F.H. (1955), Theories of Perception and the Concept of Structure. New York: Wiley
6. Arizpe, E. & Styles, M. (2003). Children reading pictures: Interpreting visual texts.
7. Armstrong, C. (1990). Teaching art in a multicultural/multiethnic society. In B.Young (Ed.), Art, Culture, and Ethnicity (pp. 97-113), Reston, VA: National Art Education Association.
8. Bertoia, 1993; Gernhardt, Rübeling, & Keller, 2013; Hall, 2010; Lorenzi-Cioldi, et al., 2011; Rübeling, et al., 2011).
9. Bjorn K. Rasmussen og Peter Wright (2001): The Theatre Workshop as Educational Space.
10. Bodrova, E. & Leong, D. (2007). Tools of the mind. New Jersey: Pearson Prentice Hall.
11. Bolin, P. E., & Blandy, D. (2003). Beyond visual culture: Seven statements of support for material culture studies in art education. Studies in Art Education, 44(3), 246-263.
12. Burns, R.C. & Kaufman, S.H. (1972): Action, Stiles And Symbols In Kinetic Family Drawing "KFD". An Interpretive Manual. N.Y., BrunnerMazel Publisher.p.1 Cambridge University Press.
13. Corsaro, W. A. (1997). The sociology of childhood. Thousand Oaks, CA: Pine Forge Press
14. Cox, M. (1992).Children's drawings. New York: Penguin Books
15. Danel - Bobrzyk H. Muzyka inspiracją działań twórczych dziecka w: Dziecko w świecie muzyki, red. B. Dymara. – Oficyna Wydawnica Impuls, Kraków, 2012.
16. Dennis, W. (1966).Group values through children’s drawings. New York: Wiley.
17. Donaldson, M. (1978) Children's Minds, London, Fontana
18. Fleming, D. (1996). Powerplay: Toys as popular culture. New York: Manchester University Press
19. Hansjörg Hohr (1998): Opplevelse som didaktisk kategori, NTNU. Trondheim
20. Herrmenn, R. (2005). The disconnect between theory and practice in a visual culture approach to art education. Art Education, 7 (4. in oral response to picture storybook read-alouds. Reading Research
21. İpşiroğlu, Z. (1994). Okuma sevgisi nasıl kazandırılır? Jale B., Nazan İ., Zehra İ., Şeyda (Yay. Haz.). ılağdaş eğitimde sanat. İstanbul: ılağdaş yaşamı destekleme derneği yayınları

22. Kantner, L., & Newton, C. (1997). Cross-cultural research in aesthetic development: A review. In A.M. Kindler (Ed.), Child development in art (pp. 166-182), Reston, VA: National Art Education Association
23. Karadağ, Ç. (2004). Görme kültürü (Görüntüler evreni). Ankara: Doruk Yayınları;p13
24. Keifer-Boyd, K., Amburgy, P. M., & Knight, W. B. (2003). Three approaches to teaching visual culture in K-12 school contexts. Art Education .
25. Kharod, K. (2006). An interdisciplinary approach: Using cultural and gender studies with fourth graders. In P. Duncum (Ed.), Visual culture in the art class: Case studies (pp. 32-38), Reston, VA: National Art Education Association
26. Leppert, R. (2002). Sanatta anlamın görüntüsü. İstanbul: Ayrıntı Yayınları
27. Levin, J.R.; Anglin, G.J,; and Carney, R.N. (1987). On Empirically validating functions of pictures in prose. . In The Psychology of Illustration, Basic Research, eds. D.M.
28. Mcdougall, M., B., Bever, & R., Seper. (2011). Art as a Way of Knowing. San Francisco: Exploratorium.
29. Milbrath, C. (1998). Patterns of artistic development in children. Cambridge: New York: Routledge/Falmer.
30. Nodelman, P. (1988). Words about pictures: The narrative art of children's picture books. London: The University of Georgia press
31. Parsons, M. J. (1987). How we understand art: A cognitive developmental account of aesthetic experience. Cambridge: Cambridge University Press.
32. Picard, D. & Baldy, R. (2011). Le dessin de l'enfant et son usage dans la pratique psychologique. Développements, 45-60 Quarterly.
33. Rutter, M. and Rutter, M. (1993) Developing Minds: Challenge and Continuity Across the Lifespan, London, Penguin Books
34. Schorr, L.B. (2004) Foreword to the Head Start Debates, In Zigler, E. and Styfco, S.J. (Eds) The Head Start Debates, Baltimore, MD, Paul H Brookes Publishing Co. Shelby, A. W. (2004). Interpreting literature with children. London: Lawrence Erlbaum Associates.
35. Sipe, L. (2000). The construction of literary understanding by first and second graders

36. Spilka, B., Hood, R., Hunsberger, B, &Gorsuch, R. (2003).The Psychology of Religion, Third Edition: An Empirical Approach. New York: Guliford Press
37. Suchodolski B., Wojnar I. Kierunki i treści ogólnego kształcenia człowieka. – Warszawa – Kraków, PWN, 1990.
38. Thompson, C. M. (2003). Kinderculture in the art classroom: Early childhood art and the mediation of culture. Studies in Art Education, 44(2), 135-146
39. Wilson, B. & Wilson, M. (1982). Teaching children to draw: A guide for parents and teachers. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall
40. Willows and H.A. Houghton, 2:51-85. New York: Springer. Mishra, P. (1999

مواقع الانترنت

41. فردوس دياب "الوعي الجمالي .. كيف ننميه عند أطفالنا ؟؟ صحيفة الثورة ،الثلاثاء ،19-2-2013:
http://thawra.sy/_print_veiw.asp?FileName=23841716920130218172056
42. نجاة مزهود، دور الصورة التعليمية في تنمية المعرفة والإدراك لدى الطفل، نشر بتاريخ: 24-08-2015 :00:21:17
http://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=150
43. Dickinson, D. (2005). Learning Through the Arts. New Horizons for Learning. Available at:
http://education.jhu.edu/PD/newhorizons/strategies/topics/Arts%20in%20Education/dickinson_lrnarts.htm (accessed: 16/11/12)

The role of illustrations in promoting children's visual culture

أ.د.نصيف جاسم محمد أ.م.د.اكرم جرجيس نعمة

جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة

Abstract

With the increase in the large flow of information, and the development that has included individuals and societies due to what modern technologies have achieved, keeping pace with this requires a lot of work and effort in order to catch up with what is emerging, there are satellite channels, newspapers, magazines, tablet computer technologies, etc. All of the illustrations that constitute a visual corner required by children as they are in harmony with their senses and tendencies. These drawings, which are among the applications of contemporary graphic design, presented and present every day various patterns of visual dialogue close to the mentality and perceptions of children, through which various guiding stories and tales are presented. Illustration technique depends on children's perceptions. Hence, the current research discusses the illustrations and their capabilities in shaping the child's awareness, the mainstay of the future, based on the following question :

- What role do illustrations play in promoting a child's visual culture? Which the researchers see as a question that calls for searching for answers to it, and the importance of the research is in the possibility of its contribution to the development of the cognitive and applied dimension for workers in the field of illustrations for children, as well as the development of the educational dimension for those working in school affairs, as we refer to the goal of the research, which lies in knowing The role of illustrations in enhancing the visual culture of the child, and the limitations of the research lie in the early and school stages of the child.

Keywords / illustration - visual culture - child